

صورة المرأة في أدب تيسير السبول

د. مها محمود عتوم^(١)

الملخص

تتناول الدراسة أدب الأديب الأردني تيسير السبول، وصور المرأة المتنوعة التي منحت هذا الأدب شعريته الخاصة والمميزة، كما كشفت عن خطاب الشاعر ورسالته الإنسانية المتمثلة في الحلم بعالم عربي تنال المرأة فيه حقها بالعدالة وعدم التمييز بينها وبين الرجل. وقد حاولت الدراسة تقديم صورة المرأة من خلال ثلاث نماذج وصور أساسية: أولها المشهدية والتصوير البصري من خلال صورة المرأة/ الحبيبة والمرأة الصديقة، وأظهرت الدراسة المشاهد التي تعبر عن امتداد الزمان المرتبط بالصديقة وقصر الزمان المرتبط بالمرأة الحبيبة، وجماليات التصوير الفني والحركة واللون في تقديم صورة المرأتين. وثانيها النماذج البدئية للمرأة الأم والأسطورة والحكاية، وبينت الدراسة من خلال هذه النماذج الصورة الممزقة والمعذبة للمرأة من خلال هذه النماذج الثلاثة، والتي تكشف عن تخلف صورة المرأة في المجتمعات العربية، وضعفها وهزيمتها الذي يعكس ضعف وهزيمة الإنسان العربي عموماً، وثالثها المرأة بين المقدس والمدنس من خلال عرض صورتها العجرية التي تمثل المقدس، والعاهرة التي تمثل المدنس، وكيف كشفت هاتان الصورتان عن التناقضات الضدية والازدواجية التي تمور بها المجتمعات العربية، وأدت في النهاية إلى هزيمتها من جهة، وإلى انتحاره من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: صورة المرأة، الشعرية، النماذج البدئية، المشهدية، التناقضات الضدية.

(١) الجامعة الأردنية - مركز اللغات.

The Image of the Woman in Tayser's Al-Sboul Literature

Dr. Maha Mahmmoud Autoom

Abstract

The study literature dealt with the Jordanian poet Tayser AlSboul, Diverse images of women that gave this literature own distinctive poetic, Also it revealed the poet's speech humanity and his dream of a world of Arab women gain the right to justice and non-discrimination between men and women. The study tried to present an image of women through three basic models and photographs: first spectacular visual imaging through the image of women / beloved and women-friendly, The study showed scenes that reflect an extension of time associated with the friend and the short time associated with women's beloved, Aesthetics Art photography, movement and color in the image rendering the two women. Second archetypes of women as mothers and myth and story, The study of these models through the torn and tormented by the image of women through these three models, which reveals the failure of the image of women in Arab societies, and weakness and defeat that reflects the weakness and the defeat of the Arab rights in general, Third, women between the sacred and the profane by offering two pictures of gypsy representing the sacred and profane, which represents a bitch, How revealed Those two pictures for antibody diodes and duplication, which dates the Arab societies, and eventually led to its defeat on the one hand, and to his suicide on the other.

Key Words: The image of the woman, Poetic, Initial models, Scenic, Antibody diodes.

المرأة في أدب تيسير السبول^(١)

مدخل

عند الكتابة عن المرأة في أدب أديب ما، لا بد من التفكير بها كأحد مكونات الحضارية والثقافية: المكونات التي جعلت منه أديباً حقيقياً، يمتلك رؤاه الخاصة ولغته الخاصة، وأسلوبه الخاص في الكتابة، لأن المرأة ليست مجرد النصف الآخر للرجل، وإنما موقعها في كتابة الأديب مهم ومفصلي، فهي ليست الحبيبة حسب، إنها الأم والأخت والأسطورة والحبيبة والعشيقة، ونحن بهذا لا نعني محاكمة حياة الأديب، وتتبع سيرته الذاتية بقدر ما نقصد قراءة الأداء الجمالي في قصيدة الشاعر من خلال صورة المرأة التي تقدمها هذه القصيدة وهذا الأدب. وهو ما قد يكون بعيداً عن حياته

(١) تيسير سبول (١٩٣٩ - ١٩٧٣)، ولد تيسير سبول في مدينة الطفيلة عام ١٩٣٩، وأنهى دراسته الابتدائية في بلدته، وفي عام ١٩٥١ ارتحل إلى الزرقاء بصحبة شقيقه الأكبر شوكت. انتقل بعد ذلك إلى عمّان حيث أنهى دراسته الثانوية في كلية الحسين عام ١٩٥٧. وكان من أوائل محافظة العاصمة، فأوفد في بعثة إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، لكنه ترك بعثته واتجه إلى دمشق لدراسة القانون. تخرّج عام ١٩٦٢، وعمل في دائرة ضريبة الدخل، ثم ترك العمل الحكومي وبدأ بالتدرب في مكتب المحامي صليب الصانع، ثم قطع تدريبه وسافر مع زوجته الدكتورة مي اليتيم إلى البحرين للعمل فيها، ثم انتقل إلى السعودية وعاد إلى الأردن عام ١٩٦٤ وأكمل تدريبه. فتح مكتباً للمحاماة في الزرقاء، ثم أغلق مكتبه وعمل في الإذاعة، واستمر يقمّ برنامج الإذاعي "مع الجيل الجديد" إلى أن انتحر بطلق ناري في ١٩٧٣/١١/١٥ في أعقاب حرب تشرين، ولقاء المصريين والإسرائيليين عند "خيمة الكيلو ١٠١". كتب تيسير سبول الرواية والشعر، والقصة القصيرة، والتمثيلية المصوّرة، والنقد، والمقالة الصحفية، وترك مخطوطاً فكرياً في العروبة والإسلام.

مؤلفاته:

الشعر:

- أحزان صحراوية: دار النهار، ط١، بيروت، ١٩٦٨.

الرواية:

- أنت منذ اليوم: دار النهار، ط١، بيروت، ١٩٦٨. نالت جائزة الرواية العربية بعد الهزيمة).
- وصدرت الأعمال الكاملة، دار أزمنة، ط١، عمان، بدعم من وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

• من موقع وزارة الثقافة الأردنية www.culture.gov.jo

الشخصية والواقعية أو ملتصقا بها، لكن غاية البحث النظر في الأدب، وصورة المرأة في الشعر والنثر، كأحد العناصر الفنية التي ميزت هذه الكتابة، وجعلت لها/ له بصمة خاصة في ذاكرة الأدب لا تمحى.

ثم إن هذا لا يعني أن هذه الصورة مثالية ومنصفة للمرأة، وليس بالضرورة أن تكون كذلك، فكثير من الشعراء والروائيين قدموا صورة مشوهة للمرأة: أمّا وأختا وحببية وزوجة^(١). لكنها في الوقت نفسه صورة خاصة ومميزة عن الصورة المألوفة للمرأة في الأدب، وهو ما يعكس تميز وخصوصية تجربة الشاعر أو الروائي التي يكتبها، وقراءة هذه الصورة وتحليلها يقود إلى قراءة المكونات الأخرى للنص التي شكلت أدبيته وشعريته، وجعلت منه نسا فنيا عاليا. "فالعامل الأدبي تعبير عن شيء ما، وغاية الدراسة هي الوصول إلى هذا الشيء عبر القانون الشعري، وطبقا لطبيعة هذا الموضوع الذي يسعى إلى بلوغه، سواء أكانت فلسفية أم نفسانية أم اجتماعية أم غير ذلك"^(٢).

إننا نقرأ في هذه الدراسة صورة المرأة باعتبارها مكونا شعريا، أو باعتبارها أحد المكونات التي تصوغ شعرية النص، وتخلق أدبيته، وسنقرأ النص من مدخل الشعرية على تنوع المدارس والمناهج التي تعاملت مع المصطلح، فالشعرية "هي قوانين الخطاب الأدبي، وهذا هو المفهوم العام والمستكشف منذ أرسطو وحتى الوقت الحاضر"^(٣)، وسنتناول في هذا السياق أدب تيسير السبول وآثاره التي تركها جميعا،

(١) انظر: نانسي هيوستن، أساتذة اليأس، النزعة العدمية في الأدب الأوروبي، ترجمة: وليد السويركي، مراجعة: أحمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط١، أبو ظبي، ٢٠١٢.

(٢) تزفيتان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، ط١، المغرب، ١٩٨٧. ص٢٢

(٣) حسن ناظم، مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤، ص٥

وهي على قلتها، إلا أنها تتنوع بين الشعر والرواية والقصة والدراسة والرسائل، وهي ما تشكل في مجموعها الصورة الكلية للمرأة التي تتوزع صورها وأشكالها على هذه المؤلفات، التي كرست أدب تيسير السبول، وجعلت منه علامة فارقة ليس في تاريخ الأدب المحلي الأردني حسب، وإنما في تاريخ الأدب العربي، والإنساني العالمي أيضاً. فقد قدم الكثير من الأدباء والنفاد دراسات في شعر تيسير سبول ونثره^(١). بالإضافة إلى شهادات الأصدقاء من كتاب وغير كتاب، وزوجته د. مي اليتيم، كما حظي باهتمام محلي وعربي كبيرين.

وعلى الرغم من أن الشعرية شعريات^(٢). إلا أننا سندع النص يواجه النظرية ويوجهها لا العكس، فالشعرية هنا مدخل عام، يحدده ويخصمه النص: شعرا ونثرا، وسندقم الصور المختلفة المتوفرة للمرأة في أدب تيسير السبول، ونفككها ونحللها، وصولاً إلى فهم قيمة هذه الصور، وأثرها أو آثارها الجمالية والفنية المختلفة على النصوص برمتها. فالسبول "استطاع أن يجمع بين مكتسبات القصيدة الجديدة والحفاظ

(١) انظر: خالد الكركي، الرواية في الأردن، ط١، عمان، ١٩٨٦. شكري عزيز ماضي، انعكاس هزيمة حزيران ١٩٦٧ في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٧٨. نزيه أبو نضال، علامات على طريق الرواية في الأردن، ط١، دار أزمنة، عمان، ١٩٩٦. محمد سمحان، مقالات في الأدب الأردني المعاصر، وزارة الثقافة، ط١، عمان، ١٩٨٤. سليمان الأزريقي، الشاعر القتييل، اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٩٣. إبراهيم السعافين، الرواية في الأردن، مؤسسة آل البيت، ط١، عمان، ١٩٩٥.

(٢) انظر على سبيل المثال: كمال أبو ديب، في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٧. جبرار جينيت مدخل لجامع النص، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد، ترجمة: عبدالرحمن أيوب، د.ت، د.ط.

. وليم راي، المعنى الأدبي: من الظاهرية إلى التفكيكية، ط١، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٧. رومان ياكوبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حمسون، دار توبقال للنشر، ط١، ترجمة: محمد الولي ومبارك حمسون، المغرب، ١٩٨٨. جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط١، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، المغرب، د.ط، د.ت.

على الحبل السري الذي يشده إلى رحم الشعر العربي القديم شداً، وعلى هذا الجسر الذي أوله في القديم وآخره في الحديث يعبر الكثير من الإيحاءات والصور والتعبيرات المجازية الجديدة^(١). وفي نثر السبول على الرغم من قلته إشارات واضحة على تمكنه وتجاوزه السائد والمألوف، وصياغة أدبية وشعرية خاصة بما أنتجه خلال سنّي عمره القصير.

١- التصوير والمشهدية بين المرأة/ الحبيبة والمرأة/ الصديقة:

لعل صورة المرأة/ الحبيبة مرتبطة بالفقد وبالضياع وبالسقوط لدى السبول، ففي مطلع قصيدة "شهوة التراب" يقول:

هنا معي/ يا ضلعي المقدود بين أضلعي/ مفقودتي^(٢)

فالمرأة تنتمي إليه هنا، وهي جزء منه، إشارة إلى الصورة الدينية^(٣)، للمرأة المتكونة من ضلع الرجل، كما أنه ينتمي إليها باشتائها، فهي التراب ومادة خلق البشر الأولى، وهما يتبادلان الخلق هنا: فهي من ضلعه، وهو من ترابها، وهي مقدسة، ولها مكانة لا أعلى منه ولا أقل: فهي معه هنا، وهو وهي متعادلان وعلى حد سواء. ولكنها في الوقت نفسه مفقودته، كما أنها علامة سقوطه أيضاً:

من أجل عينيك أحب سقطتي/ أحب أرضي التراب هذه/ وخبزي المخبول
بالعناء/^(٤)

(١) إبراهيم خليل، تيسير سبول، من الشعر إلى الرواية، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٩٠، ص٩.

(٢) تيسير السبول، أحزان صحراوية، دار النهار، ط١، بيروت، ١٩٦٨، ص١٩٧.

(٣) الكتاب المقدس، سفر التكوين ٢ و٣.

(٤) السابق، ص ١٩٨.

وعلى الرغم من أن هذه الصورة مرتبطة بالكتاب المقدس أيضا^(١)، إلا أنه يحبها ويقدها:

من شهوة السؤال في عينيك للمحرم/ ملعونة أحبها^(٢)

إنها السقوط واللعنة والفقد والمحرم والنقص، وعلى الرغم من ذلك فإنه يحبها ويلتصق بها، التصاق الجزء بالكل، "إن المرأة في شعر تيسير، وهي تسجل هذا الحضور الغني تتوهج كما في قصيدة "شهوة التراب" وغيرها من القصائد لتصبح أغنية لا تنتهي. سمفونية الوجود الإنساني. أغنية ذات إيقاع مرعب ملعون في تراجيديا السقوط البشري"^(٣). بل إن هذا الوجود يبدو منقطعاً وغير مستمر حين يكرر الشاعر في القصيدة عبارة: هنا معي، فهي هنا معه الآن، وليس بالضرورة أن يكون هذا الوجود دائماً ومستمراً، وإذا كانت صورة المرأة/ الحبيبة هنا مرتبطة بصورتها في الكتاب المقدس، فإنها تبدو كذلك في بقية شعره وقصائده، يقول:

ولعينيك اللحن المتعبة/ منهما جمعت معنای وفي/ تيهما كان ضياعي/
لست أشكو فلقد شارفتُ شيطان السامة/ بردتُ لهفة شوقي والتياغي/ ماتت
الأضواء في عيني/ لا ومض شعاع/ لا غوى أخضر/ لا لون سوى بعض
قتامة/ تتلاشى وأنا أعبّر أيامي لشيطان السامة^(٤)

إن هذا الحب قد وصل الشواطئ الأخيرة كما يُظهر عنوان القصيدة، ولذلك تتالى المفردات التالية الدالة على الوصول إلى نهايات التجربة ونفاد الحب: المتعبة، تيهما، ضياعي، السامة، قتامة، وكذلك الأفعال التي تعبر عن الحزن والألم: أشكو،

(١) سفر التكوين ٣ و ٤.

(٢) تيسير السبول، أحزان صحراوية، دار النهار، ط١، بيروت، ١٩٦٨، ص١٩٨.

(٣) أحمد المصلح، مدخل إلى دراسة الأدب المعاصر في الأردن، ص١٠٦.

(٤) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص١٤٨.

ماتت، تتلاشى. إنها مفردات تدل على التيه والألم والضياع وتفضي إلى التلاشي والموت، وهو ما يتكرر بصورة ملفتة في نصوص أخرى، حين يقول:

رغم أن الحب مات/ رغم أن الذكريات/ لم تعد شيئاً ثمينا^(١)

ويقول أيضاً في القصيدة نفسها:

وحدنا نعلم أنا افترقنا/ وانتهى ما كان من حب قديم/ يوم قلناها معا:

/ "حبنا كان خرافة" /

نحن كفناه بالصمت/ ضننا أن نريق الأدمعنا/ وافترقنا^(٢)

الموت والنهاية والتلاشي والفقد من الثيمات التي تتكرر في قصائد الحب لدى السبول، لكن هذه المرأة/ الحبيبة تظهر بصور أخرى مختلفة، ولعل أحمد المصلح أشار إلى شيء من هذا في قراءته لبعض قصائد الحب ليخلص إلى القول: "إن المرأة في شعر تيسير حاضرة دائماً حضور الشاعر نفسه، بزخم وكثافة على امتداد القصائد جميعها، لتصبح حاملاً للعلاقات الإنسانية بكل ما فيها من مداعبة وحب وصدقة وغدر وفتنة ورهبة..."^(٣).

إن هذا الحب حاضر، ولكنه يوازي حب الشاعر للحياة، ولذلك فإنه يعذبه ويوجعه بمقدار ما تعذبه وتوجعه الحياة، حتى يقول:

لا وعمق السر في عينيك ما كان غراما/ وانكفاءاتي ونزفي وأناشيدي

اليتامى/ لم تكن صرخة قيس خلف ليلي/ ففؤادي لم يعد للحب أهلاً/ إنما يسحق

(١) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص ١٢٩.

(٢) السابق، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٣) أحمد المصلح، مدخل إلى دراسة الأدب المعاصر في الأردن، ص ١٠٥، ١٠٦.

قلبي من قديم، من قديم/ سعيه الدائب للوهم وشوق للسديم^(١)

لدى الشاعر أحلام وآمال كبيرة، وما يبدو حنيناً للحب وسعياً وراء سرابه الجميل، ما هو إلا تعلق الشاعر بأحلام كبيرة تغدو في هذه اللحظة وهما وسديما يسعى وراءه ويشتاق إليه، وهذا ما يؤكد قول فايز محمود: "في الحب تتجلى أوثق العلاقات الحقيقية لدى الإنسان في الذات وفي المجتمع، وبالتالي بما تفرزه من مردودات تاريخية على مدار الأجيال"^(٢)، ويعلق على قصيدة مرحبا التي قدمنا جزءاً منها سابقاً بقوله: "في القصيدة الأولى "مرحبا" بوح مخلص للحبيبة (فيما بعد سنكتشف حمل هذا الرمز لمعنى الحياة) بانتهاء ما كان بينهما، لكن ثمة حرص شديد لحماية الحلم الذي تحطم" السابق نفسه. فالحبيبة عند تيسير سبول توازي الحياة، وأحلام الحب توازي أحلامه الشخصية والعامية، ولذلك يحميها ويحرسها ويخشى فقدانها، لأن هذا الفقد يوازي فقد الحياة ذاتها. لذلك يقول في نهاية القصيدة:

فزهور الحب لن تنمو في روعي الجديب/ أنت لو جئت سينساک فؤادي/ تحت وقع
السوط ينشق، ينادي/ يتمنى حب أخرى لا تطال/ لن تخليه غوايات المحال/
وكفاني أنني سمّرتُ - لم أختر - لآلام الصليب/ فاسمعيني، وابكي من أجلي ولكن
لا تحببي^(٣)

ف وراء الحب لدى السبول حب آخر، و وراء أحلامه أحلام أبعد، وهو يتحمل آلام الصليب، ولا يبقى في مكان الحب ودوائره التي لا تتسع له ولآماله الكبيرة التي توجعه وتعذبه كال مسيح. ولعل اختيار المسيح هنا إشارة إلى المخلص الذي تحمل آلام البشرية بصلبه وبجرّ صليبه، وتيسير السبول كان يحمل آلام أمته العربية وآلام

(١) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص ١٣٥.

(٢) فايز محمود، تيسير السبول، العربي الغريب، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٨٤، ص ٢٤.

(٣) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص ١٣٦.

هزائمها، ويجرر في أعماق نفسه إحساسا بالذنب جراء ذلك. ولذلك فإن المرأة الأكثر التصاقا بالشاعر هي المرأة الصديقة، وهي قد تكون الحبيبة ذاتها أحيانا، ولذا فإن السبول في قصيدة المستحيل التي ينفي في مطلعها أن ما كان بينه وبينها غرام، وينفي أنه قيس اللاهث وراء ليلي، ثم ما يلبث يقول:

فإذا هزتك مني يا صديقة/ عبر صمت الليل صرخات غريقة/
فاسمعيها وابكي من أجلي ولكن لا تجيبي/ فزهور الحب لن تنمو في
روحي الجديب^(١)

فهو يحول الحبيبة في مطلع القصيدة إلى صديقة، وهو إذ تنتهي علاقته بالمحوبة ويقرر أن ما كان بينهما ليس حبا، فإنه يتوجه إليها في نهاية القصيدة بصفتها صديقة ويطلب منها أن تبكي من أجله وتشاركه الحزن، ولكنه لا يريد أن تجيبه وأن تظهر تعاطفا معه، خشية أن يعود من دائرة الصداقة الفسيحة إلى دائرة الحب الضيقة والمغلقة.

ولعل القصيدة الأخرى بعنوان "الأسرار" تصيد لحظة الشهوة والأيروسية وتقدمها بصورة فنية جمالية عالية ومختلفة، فالصور المكثفة، واللغة الشعرية المقطرة المقتصدة، والتكرار الفني الذي يضيف على جو القصيدة إيقاعا إضافيا وموسيقى خاصة، يقول:

مقعد همّ بكتفي منضدة/ وردة ألقّت بساق في الإناء/ ساكن هذا
المساء^(٢)

إنهما يتبادلان الحب، فهو المقعد الذي همّ بكتفي منضدة، وهي الوردة التي

(١) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص ١٣٥، ١٣٦.

(٢) السابق، ص ٢١٥.

ألقت بساق في الإناء، ولعل تأمل هاتين الصورتين الجميلتين يكشف موقف الشاعر ورؤيته، فالمقعد إزاء المنضدة فعلاقته بها أفقية، وأما الوردة فإنها تلقي بساقها في الإناء فعلاقتها به عمودية، وهي تمضي باتجاه الأرض والثبات والرسوخ والاستمرار، فيما يوحي شكل علاقته بها بالمحدودية وقابلية الانتهاء، وبين الصورتين المساء ساكن والزمن متوقف. إن القصائد المرتبطة بالمرأة/ الحبيبة تقوم على المشهدية، واقتناص اللحظة، فكأنها عرض على المسرح، والزمن فيها هو زمن العرض، ولذلك نرى الزمن يتحرك بمقدار العرض، إذ يبدأ بالسكون:

ساكن هذا المساء

ثم يصف هذه اللحظة:

ناعم هذا المساء

ثم:

ضيق هذا المساء

وأخيرا:

مغدق هذا المساء

وبين هذه اللحظات تتحرك القصيدة وأبطالها المقعد والمنضدة: الشاعر والحبيبة. وهو ما يؤكد على الفكرة السابقة عن العلاقة المكانية بالمرأة/ الحبيبة والمحدودة زمانيا. وفي المقابل فإن المرأة/ الصديقة حتى وإن كان يقصد بها الحبيبة فإنه يتوسّع بالبوح لها وعنهما، وتبدو العلاقة مستمرة وغير منقطعة ولا محدودة، بل إنها لا زمانية، وإذا كان المشهد المرتبط بالحبيبة ينتهي بانتهاء زمن العرض، فإن مشهد الصديقة مسرحه الحياة على امتدادها: ماض وحاضر ومستقبل، يقول:

ملقى هنا في غرفتي/ ووجهك البريء يا صديقتي/ يلوح عبر وحدتي/
إشراقه/ حنوه/ ينساب في أوردتي/ يعيدني إلى ضفاف البارحة/ البارحة: نيسان
وموسيقى الأعماق/ وحنايا مبهمة الأشواق/ وجنوح اثنين إلى المطلق/ قد ضاقت
عنه الأمواق^(١)

فهذه الصديقة يستعيدنها ويستعيد ذكراها من الماضي، فهي تبدأ من الماضي، وكان يجنح وإياها إلى المطلق، فعلاقتها لا يحدها الزمن، تبدأ في الماضي، وتستمر في الحاضر رغم الغياب، وتتطلق باتجاه المستقبل، ولا يقف بعد المكان حائلاً بينه وبينها. ويمكن متابعة هذه الصورة العالية للمرأة الصديقة في حياة تيسير السبول وتجربته الشخصية وشهادات الأصدقاء والصديقات كذلك.

ولعل خلو صورة الصديقة من العذاب والعتاب والفقد مرتبط بفكرة الصداقة السامية لدى السبول^(٢) وارتباطها بالحميم والداثي والدائم، ولكنها تُخرج المرأة من فكرة الأنوثة التي سترتبط دائماً بالتعب وبالعذاب وبالهزيمة إلى الصداقة الإنسانية التي يتساوى فيها الرجل والمرأة، أما حين تستقل المرأة عن نصيفها الرجل فإنها تكون مهزومة ضعيفة متعبة خائفة، وتكون موازية لهزيمة المجتمع بأسره وصورة لضعفه وهزيمته، ولذلك يبدو على السطح وكأنه يكرهها أو يرفضها، ولكنه في الأعماق يتعاطف معها، ويشفق على نفسه وعليها وعلى المجتمع كاملاً الذي يمضي إلى التفكك والانحيار.

٢- النموذج البدئي بين المرأة/ الأم والمرأة الأسطورة :

لا وجود للأم في شعر تيسير السبول على الإطلاق، لا صورة لها في قصائده

(١) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص ١٧٣.

(٢) انظر: تيسير النجار، السيرة الغائبة، رسائل تيسير السبول إلى صادق عبدالحق. أسامة فوزي يوسف، آراء نقدية. النجار، تيسير، أمانة عمان الكبرى، ط١، عمان، ٢٠٠٧.

ولأصل. وبالمقابل ففي روايته الوحيدة "أنت منذ اليوم" لها وجود متقطع غير متكامل، لكن هذا الوجود الخاص يمكن تفسيره بأسلوب الرواية القائم على كسر النمط وتشظية الأحداث^(١). متجاوزا بذلك الأسلوب النمطي والتقليدي في كتابة الرواية^(٢) ولنطالع هاتين الصورتين للأم في مطلع الرواية، وما تلمحان إليه: "ورأيت أمي في صحن الدار، تعبر حاملة صينية الرز، والبخار يتصاعد إلى وجهها المحمر" ثم بعد قليل يقول أيضا: "ورأيت وجه أمي معروقا، وجلد ما بين عينيها منكمش بخطين واضحين"^(٣)، إن العبارتين على قصرهما تشيران إلى التعب والشيخوخة والعذاب الذي تعانيه الأم راضية راضخة في مقابل الأب المتسلط القاسي الذي يقتل القطعة في أول مشاهد الرواية لأنها أكلت قطعة من اللحم.

وفي موضع آخر عن الأم يقول: "وقال عربي إن أمه لم تكن مجنونة، ولكنها كانت كثيرة البكاء، وقال إنهم جميعا ليسوا إلا واحدا من اثنين: غاضب يصرخ، أو ذليل يبكي"^(٤)، إن أمه تكاد تصاب بالجنون من البكاء على الابن الذي ذهب لمحاربة اليهود، وإنها امرأة ذليلة، لأنه يصف العائلة بأنهم كانوا إما غاضب يصرخ، أو ذليل يبكي، وهي الذليلة التي لا تجد متنفسا لها إلا بالبكاء. ثم يقول: "بعد قراءة الرسالة، قال عربي، ظلت أمي تبكي طول النهار"^(٥)، وهذا الذل يتأكد بضربها من قبل الأب وهو ما يكرهه عربي ويقف ضده: "قلت لأبي: لماذا يا أبي؟ لماذا بهذا الحزام العريض تضربها؟ تضاحك وعبث بلحيته الصغيرة. كان في إحدى لحظاته المرححة: الله يلعنك ويلعن أمك"^(٦).

(١) فخري صالح، وهم البدايات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٥

(٢) انظر: عبدالله رضوان، أدياء أردنيون، دار النبايع للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٩٦.

(٣) تيسير السبول، أنت منذ اليوم، دار النهار، ط١، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٦.

(٤) السابق، ص ١٨.

(٥) السابق.

(٦) السابق، ص ٢٥.

إن صورة الأم هنا هي صورة المرأة الذليلة الخائفة المغلوبة على أمرها الحزينة المتعبة التي لا تكاد تتذمر على الرغم من قسوة الأب والابن أيضا عليها. فالابن يحل محل الأب بعد وفاته: "كنا قد عدنا من المقبرة للتو، حيث أودعنا جثمان الرجل الهرم. وها إنا بدأنا التصايح. وأقبلت أُمي من المطبخ وسمعت أصواتنا، فأنزلت دموعها على وجنتيها المترهلتين: هذا بيتي، سجلوه باسمي، -يا بنت الكلب، من أين لك البيت؟ أنزلت مزيدا من دموعها وحملقت بغرابة، فخشيت أنها قد تجن. -أنت لا تعرف الله. هذا بيتي. مهري. قالت بكلام متقطع مثل كلام الأطفال حين يبكون، وشمها من جديد، وذهب ليؤدي الصلاة"^(١). فالابن صورة عن الأب الظالم القاسي المتجبر الذي يهين المرأة ويؤذيها ومن ثم يذهب للصلاة، وهذه المشاهد يظهر نقد السبول لها دون التصريح بذلك، فهو يقدم مشاهد الذل والظلم والهوان العربي والإنساني متتالية في عرض يبرز السخرية والنقد الذاتي من خلال ذلك لنفسه ولأهله ولحزبه ولمجمعه. ولذلك ما يبدو تكسيرا للأحداث وتشظية لها ما هو إلا صورة عن المجتمع برمته الذي يعاني الهزيمة والتفتت، وكأن هذه التقنية الفنية هي الانعكاس الطبيعي لما كان يجري، والأداة الجمالية التي يعبر بها عن بشاعة الواقع.

ومن هنا يمكن فهم هذا اللحم/ الكابوس الذي يراود عربي ويخنقه، ويتركه دون تعليق، ليكمل القارئ النص بالتأويل المناسب: "يسير في الشارع، قلعا على شيء ما أضاعه. يمر باص. الكوى مليئة بالوجوه. في المقعد الأخير تجلس هي. وجهها مختلف، خفيف ومنفوش كوجه شبح - إنها ميتة. جرى سريعا وراء الباص دون أن يدركه. الوجه المنفوش يلتفت خلفا. ينظر إليه كأنه يدعو. أراد أن يصرخ: يا أُمي، فاكتشف أنه بلا صوت. وارتفعت أصوات تزمز من خلفه، فالتفت. إنه يعيق حركة السير. الناس حانقون يشيرون إليه ويصرخون. والتفت يريد الباص، ولكن الباص

(١) تيسير السبول، أنت منذ اليوم، ص ٤٦، ٤٧.

اختفى"^(١). إن هذا الحلم يكشف كما تكشف الأحلام عن خبيئة نفسه وعن مخفي لا شعوره ولا وعيه، عن صورة الأم في أعماقه، إذ "ليس لنا من سبيل إلى معرفة العمليات اللاوعية إلا في شروط الحلم والعصاب بأنواعه"^(٢)، فالأم معذبة وميتة، وهو يحاول نجاتها والوقوف في طريق المجتمع، الذي يمثله في الحلم حركة السير، وهو بمحاولته إنقاذ الأم إنما يعيق حركة السير والمجتمع الذي يمثل الناس في حلمه حانقون يشيرون إليه ويصرخون. فهو يريد أن يصرخ، ولكنه يكتشف أنه بلا صوت، فالمجتمع يسير في الاتجاه الخاطئ الذي يرفضه، ولكنه عاجز ولا يستطيع تصحيح المسار. فتيسير السبول "مثال لما يعرف في الأدب الغربي اللامنتمي (outsider) فكثرة الكوابيس التي لجأ إليها في بناء روايته دليل واضح، وبرهان ساطع على ما كان يدور في نفسه من صراع وتمزق"^(٣).

لعل الأم عند السبول أحد الأنماط البدئية، والأنماط أو النماذج البدئية هي: "أشكال من المركبات الفطرية، وبنى استحدثتها نفسيتها، توثت وتحرك مواد تجربتنا الفردية"^(٤). وهذه الأم/ النموذج البدئي تواطأ المجتمع على رسم مواصفات ثابتة لها لا تتغير، وصورتها النمطية هذه حتى لو رفضها وأراد تغييرها، فإنه لا يستطيع، لأنها صورة متوافق عليها من قبل المجموع الذي يشكل قوة لا يستطيع إزائها القيام بأي فعل أيا كان، وهو يشعر بالعجز ويعبر عنه، وهو أيضا في هذه الرواية حين يتحدث باسم عربي الذي يبدو موازيا له شخصيا، إنما يرمز إلى العربي المهزوم،

(١) تيسير السبول، أنت منذ اليوم، ص ٢٥، ٢٦.

(٢) سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، ص ٥٩١.

(٣) خليل الشيخ، ظاهرة الانتحار في الأدب العربي: دراسة في جدلية العلاقة بين الأدب والسيرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت، ١٩٩٧، ص ٩.

(٤) كارل جوستاف يونغ، جدلية الأنا واللاوعي، ترجمة: نبيل محسن، دار الحوار، ط ١، اللاذقية، ١٩٩٧، ص ٣٢.

الذي قد تكون صورة الأم عنده على هذا النحو إحدى علامات الهزيمة. لأن الأم أحد أركانها وأهمها، وحين تكون تعاني فإن المجتمع كله لا بد يعاني كذلك، وهزيمتها أمام الرجل هي إحدى علامات هزيمة الرجل كذلك.

أما غياب الأم في شعر السبول فلعل صورة إيزيس وشهرزاد تتوبان عنه، أو تمثلاله من خلال المحمول الأسطوري لكل منهما، وطريقة توظيفه لهما^(١). يتوجه لها السبول بالضراعة أن تجود عليه وعلى أرضه بالماء والعطاء والدموع، يقول:

"أضرع: يا إيزيس، يا إيزيس/ يا من فضضتِ أرضنا/ فتحت عن عطائها
الحبيس/ لو جدت لي بحفنتي دموع/ غسلت لي خطيئتي/ حملت عن ضميري
المعذب/ آلامه وحمأة التدنيس/ لو جدت يا إيزيس"^(٢)

إن إيزيس هي الأم الكونية التي تمنح الماء والخصب، والدموع التي تذكر بأم عربي التي تبكي طوال الوقت، وكأنها بالإضافة إلى دورها الطبيعي في المنح والخصب والعطاء، تبكي لتغسل خطايا أبنائها البشر، وتحمل عنه آلامهم وعذاباتهم. وهي لا تختلف عن أم عربي التي كانت تبكي طوال الوقت في مواجهة الظلم، وكأنها أيضا تغسل خطايا من يظلمونها، سيما وأنهم الزوج والابن. والتي قد تتوسع دلالة الدموع هنا لتكون الأم الكونية التي تغسل خطايا البشر مثل إيزيس.

وهناك صورة شهرزاد التي تشكل أيضا نمطا بدنيا موازيا للأم، وشهرزاد في ألف ليلة وليلة "هي في النهاية حكاية هذا الصراع الجوهري العميق بين المرأة التي تشكل في العصور الوسطى أكثر فئات المجتمع استغلالا واستعبادا وإذلالا -فهي

(١) انظر: جيمس جورج فرايزر، الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، دار الفرقد، ط١، سوريا، ٢٠١٤.

(٢) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص ١٥٢.

سلعة تجارية- بين فئة التجار وذوي السلطان والمال والقوة العسكرية القمعية^(١).

في قصيدة بعنوان: "ما لم يقل عن شهرزاد" ليشرح ويوضح آلام شهرزاد بقوله:

"شهرزادي/ شهرزادي يا صديقه/ قيل ما قيل ووحدني/ أنت أسررت إليه
بالحقيقة/ ألف ليلة/ كل ليلة/ حلمك الأوحده أن تبقي لليلة/ فإذا ما الديك صاح/
معلنا للكون ميلاد صباح/ نمّت والموت سوياً في فراش/ ألف ليلة/ غاض في
عينيك إي ماض التصبي/ واستوت كل المذاقات/ فمرّ مثل عذب/ بعدها كان وما
كان - صباح ما لم يُقل عن شهرزاد"^(٢)

فشهرزاد تنام مع الموت على فراش واحد، مع السلطة والظلم، وكل ما تحلم به هو البقاء لليلة أخرى، والليالي الألف هي الزمن الطويل الذي يمر كأنه بلا انتهاء، ولكنها تنتصر جزئياً، وهذا النصر يسعده، لأنه انتصار للضعيف والمظلوم، يقول:

"وعفا من بعد ألف شهرياز/ ففرحنا/ في بلادي، حيث عين الطفل والشيخ
سواء/ دعوة تحيا على وعد انتصار"^(٣)

فشهريار والمرأة والطفل والشيخ يحلمون بالانتصار، ويعدون كل ليلة تمر دون قتل أملاً بالخلاص من الظلم والاضطهاد، وهو بهذا يعبر عن الحلم الجمعي العربي بالخلاص من الظلم، والخروج من أسر الهزيمة التي يمثلها هنا شهريار الظالم القاسي، ولكنه آخر الأمر يقترّ بالحقيقة التي لا مجال لتغييرها:

(١) خليل أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٠، ص١٢٠.

(٢) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص١٨٩.

(٣) السابق.

"كلما دق على الأفق شتاء/ نتسلى بحكاياك الشجية/ ونغني لانتصارٍ/ لم يكن يوماً ولا يرجى انتصارٌ/ تحت عيني شهريار" (١)

فهو يعترف بالهزيمة، وهي ليست هزيمة شخصية، إنها هزيمة العربي الذي لا يمكن أن يحقق النصر في ظل السلطة والأنظمة الفاسدة.

فالأم تواجه الأب، وإيزيس تواجه الجذب، وشهرزاد تواجه الموت، وهن جميعاً صور للاحتجاج والثورة، إنها نماذج بدئية عالية للحب والرحمة والحياة، وهي لا تستطيع أن تقوم بأدوارها المرجوة منها ما لم تتخلص من السلطة والظلم والخديعة. وهزيمة هذه النماذج هي هزيمة المجتمعات الأبوية التي تتفرد بالقرار، وتلغي دور الأم، وقيمتها العالية في الخلاص من واقع الهزيمة والنكوص التي ظل السبول شخصياً في حياته، وفنياً في كتاباته: شعراً ونثراً - يدافع عنها، ويناضل في سبيلها، وحين لم يجد لديه القدرة على مواجهتها بحياته، انتصر عليها بالاحتجاج والرفض وبانتحاره بطلقة في الرأس.

٣- ثنائية المقدس والمدنس بين المرأة العجورية والمرأة العاهرة :

يقول السبول في روايته: أنت منذ اليوم: "يقرأ في التاريخ، يحب الطيبين، يتخاصم مع السيئين" (٢)

وإذا كان يتحدث هنا عن (عربي) بطل الرواية، فإن عربي يمثله شخصياً، يمثل أحلامه بالعدالة والمساواة والحرية والنصر العربي، وكان ثائراً على الظلم مهما كان الطرف الذي يمثله، ولذلك انشق عن الحزب، ووقف ضد الأب والأخ والمجتمع ما دام يظلم ويتسلط ويتجبر، ويجره ويجر المجتمع كاملاً إلى الهزيمة. وقف ضد

(١) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص ١٩٠.

(٢) السابق، ص ٢٠.

السائد والعادي والمألوف والمتواطأ عليه في الفن والشعر والنثر، وكان نموذجاً للمبدع الحقيقي المخلص لإنسانيته ولعروبوته^(١).

ولعل المرأة تمثل صورة ما كان يراه السبول ويحلم به، لذلك فالعجربة تمثل المرأة الطاهرة والحرّة في الوقت نفسه التي تقابل العهر والعريضة، وهي توازي صورة الحلم في مقابل الواقع المدنس، يقول:

"عجربة / قدم تضرب صدر الأرض، تعلو/ وتدق الأرض دقاً/ زوبعات من غباز/ ودواز/ وعروق مجهدات/ تتلظى وقد ناز/ أمطريني/ أمطريني/ من سديم الغيب زخات سخية/ ألصقيني بالتراب/ أنا من خلف ليل المدنية/ ظامناً لم يسقني إلا السراب/ حين تكتظ النوادي بمساخر/ بدمي آلية ترقص تانجو/ يزحف الموت مع التانجو صموت/ تتلاشى الحيوية/ بخفوت"^(٢)

فهو يتحدث عن المدنية وجرائرها، عن البشر الدمى، وعن الرقص الذي يمثل الحياة والموت يزحف إليه ويغتاله، وعن انهيار القيم في المجتمعات، والمساخر التي يخلفها هذا الانهيار، في الوقت الذي تمثل فيه المرأة/ العجربة قيم الطهر والبراءة والحرية، لذلك يطالبها بالمطر: أمطريني، ويكرر ذلك على مدار القصيدة كاملة، ليغتسل المجتمع من دنسه وعهره:

"أمطريني/ أمطريني/ من سديم الغيب زخات سخية/ أمطريني أنت ما زلت غنية/ عقب الأعشاب في نهديك/ والأرض النديّة/ لم يلطخ شفتيك الطين/ بنيا وأحمر/ لم تخوني منحة الشمس/ فهذا الوجه أسمر/ ما كسته حلل الوجه المزور/ عجربة/ ما الذي تحمل عينيك من الأسرار/ ألغاز الحكايا السرمديّة"^(٣)

(١) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص ١٩٠.

(٢) السابق، ص ١٦٢.

(٣) السابق، ص ١٦٣.

فالعجربة امرأة حقيقية غير مزورة بالماكياج، طبيعية ولونها منحة الشمس أسمر، وهي ابنة الطبيعة لا صناعة المدينة، ولذلك هي تمثل المطر وعطاء السماء وخصوبة الأرض، والوفاء لحقيقتها ولطبيعتها.

وفي مقابل هذه المرأة/ المدينة الفاضلة/ الطاهرة/ الحرة، هناك الصورة الأخرى للمرأة العاهرة/ المدنسة/ المقيدة بشروط الحياة اليومية والمجتمع، والتي تسبب له السأم والندم في الوقت نفسه، يقول في روايته "أنت منذ اليوم": "كان قد سئم من الخادمة، واستمر يجوس في جسدها الأبيض، ثم يكتشف وساخة وجهها فيتقزز^(١). وحين قالت له فتاة نظيفة الوجه أنها لا تمنع في أن يُعريها، فعل وكف عن الخادمة، وأيضاً ضجر من الأخيرة... وحنق عربي على نفسه، لأنه بعد أن يضجر من جسد البنت العاري، لا يعود راغباً في أن يلمسه" الرواية. فهذه المرأة تقابل وتضاد العجربة، وطباق الوسخ/ النظيف، والأبيض/ الأسود ما هو إلا تعبير عن الازدواجية التي تمثلها هذه المرأة ورفضه لها، وحنقه على نفسه وهو يقبل عليها آملاً، ويرتد عنها خائباً آخر الأمر كل مرة. وهي تمثل انكسار القيم وتشظيها، وما تعكسه على روحه التي تحلم بالمثالية والحب من انكسار ورفض وندم.

هذه الثنائية التي تحملها المرأة/ الجسد هي تمثيل فني وجمالي للازدواجية التي مثلها مجتمعه المحلي والعربي، فالرواية تحفل بالرمز على امتدادها، والرموز جميعها تقوم على هذه الثنائيات الضدية: الخير والشر، والعدالة والظلم، والنصر والهزيمة، والحياة والموت، لتكون المرأة هي البطل الخفي في الرواية، والتي تحمل قسطاً وافراً من هذه الثنائيات، وتمثل الازدواجيات التي أدت بالرواية إلى الانكسار، وبعربي بطل الرواية إلى محاولة الانتحار، وبتيسير السبول إلى الانتحار فعلياً ونهائياً.

(١) تيسير السبول، أنت منذ اليوم، ص ٤٩.

الخاتمة

لقد مثل أدب تيسير السبول في الشعر وفي الرواية صورة لتيسير السبول نفسه، ومع أن الدراسة لا تبحث في حياة الشخص الأديب، إلا أنها تخلص إلى أن أدب تيسير السبول هو صورة صادقة وحقيقية لتيسير السبول نفسه، ولذلك كان أدبه صادقا وحقيقيا وشفافا، وكانت أدواته الجمالية والفنية مميزة ومختلفة عن السائد، وخاصة به. لأنها كانت قائمة على أساس متين من معرفته وخبرته وتجربته الحياتية والفنية، وعلى الرغم من قلة آثاره الأدبية نظرا لوفاته المبكرة إلا أنه استطاع بهذا الأثر القليل أن يترك أثرا كبيرا وعريضا وواضحا في الأدب الأردني والعربي.

وقد شكلت المرأة ركيزة أساسية في كتاباته، وعكست بالفن صورة عالية عن الواقع المهزوم والمأزوم، وقدمنا من خلال الدراسة ثلاث صور مختلفة للمرأة، وكل صورة من هذه الصور تقدم جانبا من رؤيته، وزاوية نظر فنية في تقديمها وتوظيفها. فمن خلال صورتَي المرأة الحبيبة والمرأة الصديقة قدمنا المشهدية في شعر السبول، واعتماده على التصوير الفني والحركي البصري، لامرأة/ حبيبة علاقته بها مكانية، ولا يدوم العرض طويلا زمانيا، ولكنه يَمُور بالحركة والتفجر، وأما المرأة/ الصديقة فالعلاقة بها زمانية وطويلة ودائمة على مسرح الحياة. وهنا يكون التصوير بطيئا وطويلا، ويعتمد على الارتداد إلى الماضي مرة، وإلى الحلم والانتظار والنظر إلى المستقبل مرة أخرى.

وأما المرأة/ الأم، والأسطورة/ إيزيس، والحكاية/ شهرزاد فهي نماذج بدئية، يحملها سبول معاني الحكمة والعطاء والخير والضعف، لتفضح الأب والقائد والحاكم الجاهل والبخيل والشهير، ولكنه القوي المتسلط الجبار، الذي يستقوي على نفسه وعلى المرأة، ويتحمل وزر الهزيمة والانحطاط الذي آل إليه المجتمع بأكمله. وهذه النماذج النسوية هي المخلصة لأنها هي التي تحمل الحل للواقع العربي المهزوم إذا

ما نالت حقها الطبيعي والحقيقي، وليس غريباً أن يجعل من نفسه المسيح، باعتباره النموذج/ الرجل المخلص، الذي يمكن أن يحمل عذابات البشر، ويتحمل آلامهم في سبيل الخلاص مما هم فيه، ولكنه يفشل آخر الأمر، ويقر بذلك حين يقول في قصيدته الأخيرة التي تركها وقت انتحاره:

"أنا يا صديقي/ أسير مع الوهم أدري/ أيمم نحو تخوم النهاية/ نبيا غريب
الملاح أمضي/ إلى غير غاية/ سأسقط، لا بد، يملأ جوفي الظلام/ نبيا قتيلا
وما فاه بعد بآية"^(١)

فهو النبي الذي أراد أن يقول ويفعل، ولكنه فشل في مهمته، ولم يستطع أن يغير واقعه، فاختر الانتحار.

وفي الصورة الثالثة والأخيرة للمرأة بين العجربة والمدنية يفضح الأديب الازدواجيات الخائفة والظالمة للمرأة بين الطهر والدنس، والبياض والسواد، والنصر والهزيمة، ومع أنه ينتصر للعجربة ويراهها صورة للبراءة والطهر والعدالة، إلا أنه يعود وينكرها ويرفضها في زمن تقلب القيم والمثل، ليقول:

"عجربة/ كذب من قال في عينيك أسرار خفية/ مثلما تسعى على الأرض
الديادين الغبية/ أنت تسعين/ خواء ملء عينيك بلاهة/ وغباء مطبق يقعي وسقم
وتفاهة/ عنفوان النهدي لا يغري/ وجوع الساق لا يغري/ وما في الكهف من مكنون
سرّ/ رحلتي كانت ضياعا/ فوداعا"^(٢)

إنه يقر بتشظي منظومة المثل والقيم ومن يحملها، ويقر بخسارته لأحلامه الكبيرة التي ظن أنها تحملها وتمثلها، ولذا يودعها ويعترف بالهزيمة وبانتصار قيم

(١) تيسير السبول، أحزان صحراوية، ص ٢٢٢.

(٢) السابق، ص ١٦٦.

العهر والظلم والدنس. ولذلك لا تكون الازدواجية في الخارج بين غجرية وعاهرة، ولكن أيضا في الغجرية نفسها بين الوجه الظاهر والآخر المخفي الذي ما يلبث أن يكتشفه ويفضحه. وهو إذًاك يشعر بضياغ وجهته وغاية رحلته في الحياة.

وفي صور المرأة المختلفة يمكن ملاحظة الضعف والمعاناة والذل، وهذا يعني أن هذه المرأة مهزومة، وهي في أدب تيسير السبول صورة مجازية لمجتمعه المهزوم والمأزوم، فهي على اختلاف صور حضورها أو غيابها إنما تمثل الأمة العربية التي ترزح تحت قيود الظلم والذل والاستعباد، إن السبول يحبها ويكرهها ويقترب منها ويبتعد عنها ويقبلها ويرفضها، ولكنه لا ينظر إليها النظرة الدونية المألوفة للمرأة في الحياة وفي المجتمع، فهو الأقرب إلى العدالة التي يشعر أن المرأة لا تتألها في المجتمع، ولذا فهو منحاز إليها انحيازه إلى الخير والحب والجمال، بل إنه يرى فيها نافذة للخروج من نفق الانكسار والضعف والهزيمة.

قائمة المراجع والمصادر:

- ١- الكتاب المقدس.
- ٢- إبراهيم خليل: تيسير السبول: من الشعر إلى الرواية، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٩٠.
- ٣- إبراهيم السعافين: الرواية في الأردن، مؤسسة آل البيت، ط١، عمان، ١٩٩٥.
- ٤- أحمد المصلح: مدخل إلى دراسة الأدب المعاصر في الأردن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، دمشق، ١٩٨٠.
- ٥- أسامة فوزي يوسف: آراء نقدية، المطبعة الاقتصادية، ط١، عمان، ١٩٧٥.
- ٦- تزفيتان تودوروف: الشعرية، دار توبقال للنشر، ط١، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، المغرب، ١٩٨٧.
- ٧- تيسير السبول: الأعمال الكاملة، دار ورد للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٥.
- ٨- تيسير النجار: السيرة الغائبة: رسائل تيسير السبول إلى صادق عبدالحق، أمانة عمان الكبرى، ط١، عمان، ٢٠٠٧.
- ٩- جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، دار توبقال للنشر، ط١، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، المغرب، د.ط، د.ت.
- ١٠- جيرار جينيت: مدخل لجامع النص، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد، ترجمة: عبدالرحمن أيوب، د.ت، د.ط.
- ١١- جيمس جورج فرايزر: الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، دار الفرقد، ط١، سوريا، ٢٠١٤.
- ١٢- حسن ناظم: مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤.

- ١٣- خالد الكركي: الرواية في الأردن، ط١، عمان، ١٩٨٦.
- ١٤- خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، منشورات عكشة وشقير، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- ١٥- خليل الشيخ: ظاهرة الانتحار في الأدب العربي: دراسة في جدلية العلاقة بين الأدب والسيرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٧.
- ١٦- رومان ياكوبسون: قضايا الشعرية، دار توبقال للنشر، ط١، ترجمة: محمد الولي ومبارك حمسون، المغرب، ١٩٨٨.
- ١٧- سليمان الأزرجي: الشاعر القاتل، اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٩٣.
- ١٨- سيجموند فرويد: تفسير الأحلام، دار المعارف، ط١، ترجمة: مصطفى صفوان، مراجعة: مصطفى زيور، القاهرة، ١٩٦٩.
- ١٩- شكري عزيز ماضي: انعكاس هزيمة حزيران ١٩٦٧ في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٧٨.
- ٢٠- فخري صالح: وهم البدايات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣.
- ٢١- عبدالله رضوان: أدباء أردنيون، دار الينابيع للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٩٦.
- ٢٢- عدة مؤلفين: شهادات، دم على رغيف الجنوبي، غاليري الفيفنيق للثقافة والفنون التجريبية، ط١، عمان، د.ط، د.ت.
- ٢٣- فايز محمود: تيسير السبول: العربي الغريب، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٨٤.
- ٢٤- كارل جوستاف يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، دار الحوار، ط١، ترجمة: نبيل محسن، اللاذقية، ١٩٩٧.
- ٢٥- كمال أبو ديب: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٧.

- ٢٦- محمد سمحان: مقالات في الأدب الأردني المعاصر، وزارة الثقافة، ط١، عمان، ١٩٨٤.
- ٢٧- نانسي هيوستن: أساتذة اليأس، النزعة العدمية في الأدب الأوروبي، ط١، ترجمة: وليد السويركي، مراجعة: أحمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ٢٠١٢.
- ٢٨- نزيه أبو نضال: علامات على طريق الرواية في الأردن، ط١، دار أزمنة، عمان، ١٩٩٦.
- ٢٩- وليم راي: المعنى الأدبي: من الظاهرية إلى التفكيكية، ط١، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٧.

References:

- 1- Alktab Almqds.
- 2- Ibrahim Khalil: Taiseer Sbool: From Poetry to Novel, Al-Faris Publishing and Distribution, 1st edition, Amman, 1990.
- 3- Ibrahim Al-Sa'afin: The Novel in Jordan, The Al-Bayat Institute, 1st edition, Amman, 1995.
- 4- Ahmad Al-Musleh: An Introduction to the Study of Contemporary Literature in Jordan, Publications of the Arab Writers Union, without edition, Damascus, 1980.
- 5- Osama Fawzi Yusef: Critical Views, Economic Press, 1st edition, Amman, 1975
- 6- Tzfitan Todorov: Poetry, Toubkal Publishing House, 1st floor, translation: Shukri Al-Mabkhout and Raja bin Salama, Morocco, 1987
- 7- Taiseer Sbool: Complete Works, Dar Ward for Publishing and Distribution, 1st edition, Amman, Jordan.
- 8- Tayseer Al-Najjar: The Absent Biography: 7- Taiseer Sbool's letters to Sadiq Abdul-Haq, Greater Amman Municipality, 1st edition, Amman, 2007.
- 9- Jean Cohen: The Structure of Poetic Language, Toubkal Publishing House, 1st floor, translation: Muhammad Al-Wali and Muhammad Al-Omari, Morocco, Without edition, without a date.
- 10- Gerard Genet: Entrance to the Text Collector, House of Cultural Affairs, 1st floor, Baghdad, translation: Abdul Rahman, without a edition, without a date.
- 11- James George Fraser: The Golden Branch: A Study in Magic and Religion, Dar Al-Farqad, 1st Floor, Syria, 2014..
- 12- Hassan Nazim: Poetic Concepts: A Comparative Study of Fundamentals, Methodology and Concepts, The Arab Cultural Center, 1st edition, Beirut, 1994.
- 13- Khaled Al-Karaki: The Novel in Jordan, 1st edition, Amman, 1986.
- 14- Khalil Ahmed Khalil: The Context of Myth in Arab Thought, Okasha and Shugair Publications, 2nd Edition, Dar Al-Tale'ah Printing and Publishing, Beirut, 1980.
- 15- Khalil Al-Sheikh: Suicide phenomenon in Arabic literature: a study in the dialectic of the relationship between literature and biography, Arab Institute for Studies and Publishing, 1st edition, Beirut, 1997.

- 16- Roman Jacobson: Poetic Issues, Toubkal Publishing House, 1st floor, translation: Mohamed El Wali and Mubarak Hamson, Morocco, 1988.
- 17- Suleiman Al-Azra'i: The Dead Poet, Union of Arab Writers, First Edition, Damascus, 1993.
- 18- Sigmund Freud: Interpretation of Dreams, Dar Al-Maaref, 1st floor, translation: Mostafa Safwan, review: Mostafa Zyour, Cairo, 1969.
- 19- Shukri Aziz Madi: The reflection of the June 1967 defeat in the Arabic novel, The Arab Institute for Studies and Publishing, 1st edition, Beirut, 1978.
- 20- Fakhri Saleh: The Illusion of Beginnings, The Arab Institute for Studies and Publishing, 1st edition, Beirut, 1993.
- 21- Abdullah Radwan: Jordanian writers, Al-Yanayea House for Publishing and Distribution, 1st edition, Amman, 1996.
- 22- Several authors: Testimonials, Blood on Raghef Al Janoubi, Al-Fafneeq Gallery for Culture and Experimental Arts, 1st edition, Amman, without edition, without a date.
- 23- Fayez Mahmoud: Taiseer Sbool: The Curious Arab, Carmel House for Publishing and Distribution, 1st edition, Amman, 1984.
- 24- Carl Gustav Jung: The Dialectic of the Ego and the Unconscious, Dar Al-Hiwar, 1st floor, translation: Nabil Mohsen, Lattakia, 1997.
- 25- Kamal Abu Deeb: In Poetry, Arab Research Foundation, 1st edition, Beirut, 1987.
- 26- Muhammad Samhan: Essays in Contemporary Jordanian Literature, Ministry of Culture, 1st edition, Amman, 1984.
- 27- Nancy Houston: Professors of Despair, Nihilism in European Literature, 1st edition, translation: Walid Al-Swairki, review: Ahmed Khreis, Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage (Speech), 2012.
- 28- Nazih Abu Nidal: Signs on the road to the novel in Jordan, 1st edition, Dar Azmenah, Amman, 1996.
- 29- William Ray: The Literary Meaning: From Phenomena to Deconstruction, 1st edition, translation: Dr. Yoel Youssef Aziz, Dar Al-Mamoun, Baghdad, 1987.